والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ مَلْك
بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ الفعل ومالكاً بالنصب على المدح أو الحال ومالكٌ بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف
ومَلِكُ مضافاً بالرفع والنصب ويوم الدين الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار ومعناه ملك
الأمور يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الإضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه. وإجراء هذه الأوصاف على الله من كونه رب العالمين
موجداً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر
بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد
فضلاً عن أن يعبد فيكون دليلاً على ما بعده فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق
الأعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد
للحامدين والوعيد للمعرضين. إياك نعبد وإياك نستعين ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أي يا من هذا شأنه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص والترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود
فكان المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف
من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر
سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه
عياناً ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن
الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي أرسل الرياح
فتثير سحاباً فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود

وإيا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة
لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها واحتج بما حكاه عن بعض
العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وإيا عمدة
فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع

وقرئ

وقرئ أياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد
أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير
الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل
ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج
عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً
وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه
ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب
عما عداه حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة إليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن إن الله معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال إن معي ربي سيهدين
وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي
ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه
أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله وإياك نستعين ليدل على أن العبادة أيضاً
مما لا يتم ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ
بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها
اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو إفراد لما هو
المقصود الأعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم
وارد على التهكم ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو إلى
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد لكنها
تنحصر في أجناس مترتبة الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار
حيث قال وهديناه النجدين وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بإرسال
الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله إن هذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات
الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

Copyright © King Saud University